الفصل الحادي والثلاثون

التوكيد

التوكيد المعنوي بلفظ (كل) :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله ﴾ [1] : " من نصب ـ يعني (كله) ـ فعلى توكيد الأمر ، ومن رفع فعلى الابتداء و(لله) الخَبر " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ [3] : " ويجوز النصب (كلُّهن) توكيدا للهاء والنون " [4] .

قلت : قد ورد النصب في قراءة غير متواترة تنسب إلى أبي إياس جوية بن عائذ [5].

وقد ذكر فائدة التوكيد بكل في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [6] ، وتقدم في أول فصل المستثنى [7] .

التوكيد بلفظ (أجمعين) :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [8] : " قال سيبويه والخليل [9] : (أجمعون) توكيد بعد توكيد ، وقال محمد بن يزيد : المعنى يدل على اجتماعهم في السجود ، المعنى : فسجدوا كلهم في حال واحدة ، وقول سيبويه والخليل أجود ؛ لأن (أجمعين) معرفة فلا يكون حالا " [10] .

قلت : وهذه الآية يمثل بها النحويون لإتباع (كلهم) بـ(أجمعين) تطبيقا لما تقرر من أنه إذا أريد تقوية التوكيد جاز أن يتبع كله بأجمع ،وكلها بجمعاء ، وكلهم بأجمعين ،

---

(١) آل عمران /١٥٤ . (٢) معانيه ١/٤٨٠ . (٣) الأحزاب /٥١ .
(٤) معانيه ٤/٢٣٣ . (٥) روح المعاني ٢٢/٦٣ . (٦) العنكبوت /١٤ .
(٧) انظر ص٢٣٣ (٨) الحجر /٣٠ .
(٩) الكتاب ١/١٥١ ، ٢/٣٧٨ ، ٣٧٩ . (١٠) معاني الزجاج ٣/١٧٩ .

وكلهن بجمع [1] ، وقد رد أبو البقاء العكبري [2] ما نسبه الزجاج هنا إلى المبرد واستبعده فقال : (أجمعون) توكيد ثان عند الجمهور ، وزعم بعضهم أنها أفادت ما لم تفده (كلهم)، وهو أنها دلت على أن الجميع سجدوا في حال واحدة ، وهذا بعيد؛ لأنك تقول : (جاء القوم كلهم أجمعون) وإن سبق بعضهم بعضا ، ولأنه لو كان كما زعم لكان حالا لا توكيدا .

وذكر الزجاج في كتابه (ما ينصرف) التوكيد بـ(أكتع) و(أبصع) بعد (أجمع) فقال: " هذا باب (أفعل) الذي لفظه لفظ النكرة ومعناه معنى المعرفة ، وذلك قولك : (أنفقت الدرهم أجمع يا هذا) ، ومثل ذلك (أكتع) و(أبصع) ، إلا أن (أكتع) لا يستعمل إلا بعد (أجمع) ، و(أبصع) لا يستعمل إلا بعد (أكتع) ، تقول : مررت بقصرك أجمع أكتع أبصع ، ومعنى (أجمع) و(أكتع) و(أبصع) التوكيد ، والمعنى إذا قلت: مررت به أجمع: مرت بجميعه " [3] .

التوكيد اللفظي :

أمثلته كثيرة ، ومنها :

ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [4] : " وقعت (فلا تحسبنهم) مكررة لطول القصة ، والعرب تعيد إذا طالت القصة في (حسبت) وما أشبهها إعلاما أن الذي جرى متصل بالأول وتوكيدا للأول ، فتقول : لا تظن زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا فلا تظنه صادقا ، تعيد (فلا تظن) توكيدا ، ولو قلت : (لا تظن زيدا إذا جاءك وحدثك بكذا وكذا صادقا) جاز ، ولكن التكرير أوكد وأوضح للقصة " [5] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [6] : " كرر (رأيتهم) توكيدا ، المعنى : رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين ، فكرر (رأيتهم) لما طال الكلام " [7] .

ـ وقال في قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[8] : " القراءة

(١) انظر التصريح ٢/١٢٤ .
(٢) انظر الإملاء ٤/٤٢٥ .
(٣) ما ينصرف ص١٢ .
(٤) آل عمران /١٨٨ .
(٥) معانيه ١/٤٩٨ .
(٦) يوسف /٤ .
(٧) معانيه ٣/٩٠ .
(٨) التوبة /٦٣ .

بالفتح والكسر في (فأن له) ، فمن كسر فعلى الاستئناف بعد الفاء ، كما تقول : فله نار جهنم ، ودخلت (إن) مؤكدة ، ومن قال : (فأن له) فإنما أعاد (فأن) توكيدا ؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد " [1] .

ـ وقال في قوله تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾[2] : " وحقيقة (أن) الثانية أنها مكررة على جهة التأكيد ؛ لأن المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله " [3] .

ـ وقال في قوله تعالى :﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾[4]: " هذا جواب الملأ من قوم ثمود ، فأما (أنكم) الأولى فإنها منصوبة على معنى أيعدكم بأنكم إذا متم، وموضع (أن) الثانية عند قوم كموضع الأولى ، وإنما ذكرت توكيدا ، والمعنى على هذا القول : أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم ؟ فلما بعد ما بين (أن) الأولى والثانية بقوله :(إذا متم وكنتم ترابا وعظاما) أعيد ذكر (أن) "[5] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6] : " ذكر (فيها) ثانية على جهة التوكيد " [7] ، وفي توجيه هذه الآية يقول الشيخ خالد الأزهري [8] : " (في) الثانية توكيد لـ(في) الأولى ، وأعيد مع (في) الثانية ضمير (رحمة) ، ولا يكون الجار والمجرور توكيدا للجار والمجرور ؛ لأن الضمير لا يؤكد الظاهر ؛ لأن الظاهر أقوى منه ، ولا يكون المجرور بدلا من المجرور بإعادة الجار؛ لأن العرب لم تبدل مضمرا من مظهر، لا يقولون: قام زيد هو، وإنما جوز ذلك بعضهم بالقياس ".

قلت : والآية يستشهد بها النحويون على ما تقرر من أنه إذا كان المؤكد حرفا غير جواب وجب أن يعاد مع التوكيد لفظ المتصل بالمؤكد أو ضميره إن كان المتصل اسما ظاهرا ، والأولى إعادة ضميره كما في الآية .

إعادة ظاهر مضاف لظاهر :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾[9] : " فأما تكرير (قبل) ففيه وجهان : قال قطرب : إن (قبل) الأولى للتنزيل ، و(قبل) الثانية

(١) معانيه ٢/٤٥٩ .
(٢) الحج /٤ .
(٣) معانيه ٣/٤١١ .
(٤) المؤمنون /٣٥ .
(٥) معانيه ٤/١١ .
(٦) آل عمران /١٠٧ .
(٧) معانيه ١/٤٥٥ .
(٨) التصريح ٢/١٢٩ .
(٩) الروم /٤٩ .

للمطر، وقال الأخفش وغيره من البصريين: تكرير (قبل) على جهة التوكيد ، والمعنى: وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لمبلسين ، والقول كما قالوا ؛ لأن تنزيل المطر بمعنى المطر؛ لأن المطر لا يكون إلا بتنزيل،كما أن الرياح لا تعرف إلا بمرورها، قال لبيد:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم [1]

فمعنى مر الرياح كقولك : تسفهت أعاليها الرياح النواسم " [2] .

وقد استشهد المصرح [3] بهذه الآية على أنه إذا أعيد ظاهر مضاف إلى ظاهر فإنه يختار إضافة التوكيد لضميره ، ولا يعاد الحرف المؤكد وحده .

(١) البيت من الطويل ، وقائله ذو الرمة لا لبيد ، والنواسم : الرياح حين تهب بليل قبل أن تشتد ، و(تسفهت أعاليها) : مرت به ، وقد تقدم في فصل الإضافة .

(٢) معانيه ١٨٩/٤ ، ١٩٠ . (٣) التصريح ١٣٠/٢ .

obeikandl.com